

وأنداس الكتاب



نماذج فنية من الأدب والفن

تأليف الأستاذ أنور المداوى

للاستاذ عبد القادر رشيد الناصري

عرفه قراء الرسالة الزاهرة منذ سنوات في توقيعاته التي أعجبت كل أدب كما عرفه النقاد الموجودون الآن بين ظهرانيها بما به يختلف عنهم بمعنى المعرفة وإصابة الهدف والاستدلال على الحقيقة وعدم التحيز لصدق أو قريب ومهاجمة الكثير من شيوخ الأدب الذين يشطون فيما يكتبون :

وقال قائل منهم عنه « إنه عامل هدم في الحياة الأدبية لاعامل بناء » لماذا « لأنه منذ أن تناول قلمه ليكتب تحول القلم في يده إلى معول ناثر ، معول متعصب تنصب ثورته على بعض القيم والأوضاع ! (١) »

واسكنه وهو المارد الجبار الذي نذر نفسه ليخبر من مناهج النقد القديمة البالية لم يبال بهذا الكلام الفارغ الذي يلقيه على عواهنه من لم نصيب ضئيل من الثقافة أو من الذين لم يثبتوا أقدامهم في مواضعها ؛ راح يكتب ويكتب بكل جرأة وصرامة

(١) مقدمة النماذج ص ١

الأستاذ أنور المداوى الكاتب المصري المعروف غنى عن التعريف فهو ناقد فذ وأدب ممتاز ومن طلائع المثقفين القلائل في البلاد العربية . وأقول القلائل لأننا لم نحصينا الأدباء الذين جموا بين الثقافتين الشرقية والغربية وأطلقنا عليها اسم المثقفين كما ندل عليها كلمة الثقافة من معنى لوجدناهم من القلة بحيث لا يذكرون نجاء الأغلبية الساحقة من القاديين أشباه المثقفين

بالبحث الثقافي وتبادل الرأي مبع من يعملون معه من الأدباء بنية الوصول بالأعمال الثقافية إلى أهدافها المقصودة ، وقد بدا استمداؤه لذلك حينما دعا الموظفين الفنيين إلى الاكتاب لإقامة حفلات شاي ، وقد توالت هذه الاكتابات ، وأقيم بعض الحفلات ، ولكن لم يحدث فيها سوى تناول الشاي وبعض الحلوى ، فلم يتحدث في موضوع ، ولم يجد تنارف ، فالجميع زملاء يعرف بعضهم بعضا من قبل ، وكان كل جماعة في حجرة والمدير العام في حجرة أخرى مع بعض الخاصة والزائرين . ولعل حفلة الشاي التزمع إقامتها قريبا تكون أكثر جدوى من حفلات الشاي السابقة

إن كل ما نبهيه أن تكون إدارة الثقافة بوزارة المعارف أداة فعالة في حركة البلاد الثقافية ، والسبيل الذي نراه لذلك أن نستغل الطاقات في الإنتاج . بدلا من استهلاكها في مراعاة المراسيم والشكليات

عباس مضر

المشروعات الثقافية التي تستغل فيها جهود أولئك الفنيين ، والدكتور حزين بك أستاذ موفور النشاط ، ويمكن أن يكون نشاطه مجديا لو وجه طاقته إلى معالجة السائل الثقافية وتوجيه الجهود إلى الإنتاج الذي يرفع شأن الإدارة ويدفع عنها ما تهاب به ، فهناك مثلا التراث الثقافي المظلل ، والذي يتمثل في عشرة كتب مخطوطة دفعت الوزارة ثمنها لمحققها ، ثم حكم عليها بالحبس ! وهناك - مثلا أيضا السجل الثقافي الذي شمرت البيئات الثقافية في مصر والمغرب بفائده ، وأبدى الجميع ارتياحهم إليه ، هذا السجل صدر منه عددان عن سنتي ١٩٤٨ و ١٩٤٩ ولا يزال سجل ١٩٥٠ واقفا ينظر إلى الميزانية وينتظر أن يدمج بالأخذ في إجراءات طباعه وقد أوشكت سنة ١٩٥١ أن تنتهي . وقد صدر كل من السجلين الأولين في أوائل السنة التي تلي سنته وكان ذلك في الوقت الذي لم يكن فيه أحد يقول لحرره : لماذا تأخرتم وأين كنتم !

والدكتور حزين بك أستاذ جامعي ، والذي يليق به أن يهتم

القراء ، واطلع عليها القراء في جميع البلاد الناطقة بلغة القرآن ، ولكن يسترني أن أشير في هذه الكلمة العاجلة إلى بعضها

أسلوب المدادى في هذا الكتاب وفي جميع ما يكتب رعين سهل : لفظ رقيق ودباجة جزلة أنيقة . وهو كما قال فيه أستاذنا الريات بك في افتتاحيته العظيمة عدد ٩٤٨ من الرسالة « أسلوب المدادى كما تراه في كتابه من الأساليب التي جاء فيه التأليف بين المعنى واللفظ جاريا على سنن الفن الصحيح ؛

فالتفكير قوى عصى حار ، والتعبير دقيق أنيق مهذب » أما آراؤه فناضجة قوية تقوم على العقل والملاحظة والتجربة والاطلاع ، فن مقالاته التي تنطب عليها الملاحظة وأناقة اللفظ حتى انفسيك نفسك وتأخذك إلى عالم الكاتب والسطور . « شاعرية مصرية تودع الحياة » و « من الأعماق » ولتقف لحظة لنقرأ مرة أخرى قوله في « من الأعماق » ص ١٦٤

« وأبدا لن ينسى يا دار هواه ، يا من كنت وحى قلبي ومهبط إلهامه وحديث أسانيه . . لن ينسى حين غاب عنك أباما ثم ذهب ليرى أهلك في آخر يوم من رمضان ، ملء يديه كما كان بالأمس زهر ، وملء عينيه أمل ، وملء قلبه حب ، وملء نفسه دنيا من الأحلام . . لقد كنت يا دار واجدة ، كشيبة . . يرح في جنباتك الصمت ، وبطابق السكوت ! أين يا دار من كانت تفتح له أبواب السمور بالدنيا على مصاريمها ؟ أين أين .. الخ .. »

فأنت إذ تقرأ هذه السطور تحس كما لو كنت أنت صاحب من الأعماق أبا جئت إلى دار الحبيبة لتزورها فإذا بالدار واجدة ، والأهل صامتون والدنيا مظلمة وكل شيء ينطق بالموت ، بالخراب ، بالدمار .. ورحمة الله على صاحبة ذلك القلب الكبير .. وعزاء للصديق المفجوع بأعز أسانيه . .

ومن تلك الآراء التي أوافق عليها موقفه « حول مشكلة الفن والقيود » ص ١٦ و « حول مشكلة الأداء النفسى » ص ٣١ و « الفن والحياة » ص ٨٥ و « رأى في كتابة القصة » ص ١٧٢ و « بيتان لجليل بشينة » ص ١٧٥

وأكثر آرائه في القسم الثانى من الكتاب بعنوان « كتب

غير ملتفت إلى نعيم الغربان وتيقن الضادع ، حتى مضت أشهر وإذا اسمه على كل لسان وإذا شهرته تسبقه في كل بلاد تشرق عليها من بلاد الشرق العربى ، وإذا هو بين عشية وضحاها معروف وأثير لدى الجميع ، وإذا بريد الرسالة يتلقى كل يوم عشرات الرسائل وكما هو موجهة إليه ، ليمقب على هذا المقال أو يجيب على ذلك السؤال أو يوجه ورشد أو ينقد ليدل على مواضع التبع والجمال وكنت أحد الذين يقرآن للاستاذ المدادى وأحد الذين يسحبون بآراء المدادى وأحكامه في عالم النقد والأدب . وقد شاء ربك أن تتصل الأسباب بينى وبينه ، فإذا بنا نصبح من أول مراسلتنا أصدقاء . ولا عجب فالأدباء إخوان وأقرب نجمهم رابطة الفن قبل رابطة القلم والقراءة . ورحم الله أستاذ الشعراء حيث يقول (٢) :

إن يك مد مطرف الإخاء فإننا نغدو ونسرى في إخاء نالنا
أو يختلف ماء الوصال فاؤنا عذب نحد من غمام واحد
أو يفترق نسب يؤلف بيننا أدب أقتناء مقام الوالد
وأضى أنا إلى ياريس ومن ياريس أكتب إليه ثم أود
لأشكر له مأساى فإذا به يقف منى ذلك الموقف المشرف النبيل
الذى يفسد عليه صداقة الوزير في سبيل الأدب ، وفي سبيل
إنصاف شاعر . وأتذكرك تتجلى لى أخلاق المدادى على حقيقته
أخلاق سافرة للبيان ، وإذا به قلب كبير وروح مثالية تضهى بكل
شيء في سبيل الأدب ، ومن ذلك الوقت وأنا لا أشك بأن
أحكامه في الأدب والنقد والفن لا تصدر إلا عن دراية وثقافة وحس
وخبرة واطلاع ، ثم عمر الأسابيع وإذا يريد الكنانة يحمل لى
من الصديق الحبيب كتابه الثمين الذى رسمت به هذا المنوان .
والكتاب من الحجم الكبير يقع في « ٢٥٠ » صفحة طبعتها
لجنة النشر للجامعيين على نفقتها الخاصة ، وقد تصفحته بإيمان
فإذا به يحوى على « ٤٠ » مقالة في مختلف الفنون و « ١٠ »
منها عن نقد الكتب .. وقد قلت إن تلك الصفحات النذرة في تاريخ
النقد في مصر والتي ضمنها الكتاب قد نشرت في مجلة الرسالة

(٢) أبو تيجان في قصيدته البليغة التي يودع بها صديقه على ابن الجهم ومطلها :

هي لرفة من صاحب لك ماجد فضا لإذابة كل دمع جامد

ما يقرأون بما يسمون « . » واستطيع أيضاً أن أؤكدك يا سيدي الأستاذ أن هذه هي الرغبة الحقيقية لكل أديب هنا بل ورغبة كل قارئ وقارئة في السودان من الذين يقتبسون الحياة الفكرية



مول الثقافة المصرية في السودان :

إلى حضرة الأخ الفاضل الأستاذ عباس خضر
أرفع إليك تحية طيبة وتقديراً عظيماً وإعجاباً كثيراً بما تقدمه
لقراء الرسالة الزاهرة في باب (الفن والأدب في أسبوع) من
مقالات شبيقة نافمة . وأشكر لك هذه الافتتاحات السريعة التي
تخص بها إخوانك أبناء جنوب الوادي من حين إلى حين . هذا
وقد دفعتني إلى كتابة هذه السطور إليك ما نشرته لك الرسالة في
العدد (٩٤٩) تحت عنوان : « الثقافة المصرية في السودان » .
وأستطيع أن اعتبره موجزاً في قولك « وليت وزارة المعارف تخرج
عن تلك الرسمية المفرطة فتختار بعض الأدباء المروفين بآثارهم
الفنية الناضجة ليشاركوا في موسم المحاضرات المصرية بالسودان
فتتيح لأهل أن يروا الوجوه التي يقرأون لأصحابها ويصلوا

في مصر
ومع أننا قد رنا للفاروق العظيم وللمصر إرسال تلك البعثات
واستفدنا من كل الأستاذة المصريين الذين حاضرونا وعلى رأسهم
الأستاذ الجليل الدكتور محمد موسى بك . إلا أننا نقرر للحقيقة
ونقرر تأييداً للفتنة الباهرة التي سبقت الإشارة إليها أن مجرد
ذكر اسم الأستاذ المريان في بضعة العام الماضي أحدث دويماً
شديداً وتطلماً عظيماً لرؤية هذا الرجل الذي عرفه السودان علماً
من أعلام الأدب منذ نيف وعشرين عاماً وكانت محاضراته من
النوع الذي نشده فملاً ، ونتمطش إلى سبائه ولاسيما وأنه أعاد لنا
ذكرى مشكلة الجديد والقديم في الأدب العربي ، ذكرى ذلك
الصراع الفكري بين عمالة الأدب في حلبة الرسالة منذ أمد طويل
وما يزال له إلى اليوم صدى ورنين
وإذا كان لي أن أترح فإني أقول يا حبذا لو ضمت البعثة

في الميزان « من ص ١٧٩ إلى ص ٢٤٧ . اللهم إلا رأيته في
آيات عمر أبو ريشة :

أتريد الوجود ، منهك يربنا أسرارهِ عربانا
ويضض القدماء عن قلبه السمع ويجريه للعطاش دنانا
لو بلفنا ما نشهى لرأينا الله في نشوة الشهور عيانا
وآيات محمد مهدي الجواهري :

على الحسير وكوز الماء يرفده وذهنه ورفوف تحمل الكتب
أهوى على كوة في وجهه قدر قد بالظلمة الثقبين فاحتجبا
فأنا أخالفه.. فهو يعتبر آيات عمر أبو ريشة عادة لا حس
فيها ولا حركة ، وآيات أويقي الجواهري من الفن الأسيل الذي
يهزه ويهتز لها صاحب « تحت البضغ » . فأنا بالرغم من الذين
يقدرون موسيقى اللفظ وقوة السبك وأصالة الديباجة لا أظن
أن شعر الجواهري مهما سما يصل إلى أخيلة أبو ريشة . ولما
كنا في صدر الكلام عن الآيات المتقدمة فإن الجواهري لولا
يبته الثاني :

أهوى على كوة في وجهه قدر قد بالظلمة الثقبين فاحتجبا
لما بقي جمال أو معنى لبيتيه ..

كما أخالفه مرة أخرى في رأيه بقصة الأستاذ أحمد الصاوي
محمد « زوجات » فأنا أعد الصاوي في كل ما ترجم وألف
واقبى لا أثر له في التوجيه أو الإرشاد اللهم إلا إشارة غرائز
الشباب باسم الفن والأدب

وختاماً فإن كتاب الصديق الأستاذ المداوي في هذه
الأيام التي طفت فيها موجة السياسة على الأدب وكثر التهريج
والترميز باسم النقد.. ليمد اللبنة الأولى في صرح بناء النقد الحديث
على ضوء العلم والفن والتروى.. فهبتا المكتبة العربية بهذا
المؤلف النفيس.. ونحية صدق وإعجاب لؤلؤه.. وألف شكر على
هديته الثمينة

عبد القادر رشيد الناصري

بغداد